المجلس (١)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأتمان الأكملان عَلَىٰ المبعوث رحمةً للعالمين، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أَمَّا بعد؛

فأُرحِّبُ بإخواني في هذه المجالس العلمية لشرحِ الرسالةِ المُختصرة في محاسن الإسلام التي سماها الإمامُ السعديُّ رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: (بالدُرةِ المُختصرة في محاسن الدين الإسلامي)، وقد اخترتُ لهذا البرنامجِ هذا الوقتَ –أعني: قبل الظهرِ وبعد الظُهرِ مع بعد العصر–، لنعمرَ مسجدَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالعلمِ في هذه الوقتِ الذي لا توجدُ فيه دروس، رجاءَ أن نفوزَ بالأجرِ الكريم والفضلِ العظيم، بهذا العمل فنسألُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أن يُحققَ لنا هذا الأمل وأن يزيدنا من فضلهِ أضعافَ أضعافَ ما نرجو.

معاشر الإخوة نشرعُ في شرحِ رسالةٍ قصيرة المبنى، عظيمةِ المعنى، صغيرة الحجمِ غزيرة العلم، في موضوعٍ من أنفعِ موضوعات العلم وأجملِ مباحث العلم ألا وهي (رسالة الدُرةِ المخُتصرة في بيان محاسن الدين الإسلامي) للإمامِ المُفسرِ الفقيهِ الأصوليِ المتفنن: عبد الرحمن بن ناصر بن سِعدي السَعدي رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وسائر عُلماء المسلمين.

ومحاسنُ الدين هي كمالُ الدينِ وجمالهُ والحكمُ التي أرادها الله عَزَّ وَجَلَّ من الشرعِ لتحقيقِ عبوديته وإصلاح العبادِ في العاشِ والمعاد.

ما هي محاسنُ الإسلام؟

ما هي محاسنُ الدين؟

ما الذي يُريدهُ العلماء بقولهم: هذا من محاسن الدين؟ أو هذه محاسنُ الدين؟

☜ **محاسنُ الدينِ هي:** كمالُ الدينِ وجمالهُ في كُلياتهِ وجزئياتهِ، والحكمُ التي أرادها اللهُ عَزَّ وَجَلَّ من الشرعِ لتحقيقِ عبوديته وإصلاح العبادِ في المعاشِ والمعاد.

كمالُ الدين، هذا الدينُ دينٌ كامل في كُلياتهِ وجُزئياته، أكملهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ كما قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، فإذا نظرتَ إلى أصولِ هذا الدين **وجدتها في غاية الكمالِ، لا ترىٰ فيها شيئًا تقول: لو أنه زِيدَ فيهِ كذا لكان كذا. وتجدُها أيضًا لا تقبلُ الزيادة.**

وكذلك إذا نظرتَ إلى جُزئيات الدين، فنظرتَ إلى الصلاةِ ونظرتَ إلى الزكاةِ والصومِ والحجِ والبِرِ والمعاملاتِ، وغيرِ ذلك، وجدتها في غايةِ الكمال والجمال، فعليها بهاءٌ وجمال؛ فهذا من محاسن الدين.

فإذا تكلمنا عن محاسن الدين فإنا نُبرزُ كمالهُ في كُلياتهِ وفي جُزئياتهِ، ونُبرزُ جمالهُ وحُسنهُ الذي فاقَ به كُلَّ ما عندَ الناس، والحكمُ التي أرادها اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، فاللهُ عَزَّ وَجَلَّ إنما شرعَ لحكمة، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فهو الحكيمُ العليم، لا يشرعُ شيئًا إلا لحكمة، وأردَ هذه الحكم، كما هو عقيدةُ أهل السُّنّةِ والجماعة، فكُلُّ ما في الشرعِ فيه حكمٌ أرادها الله عَزَّ وَجَلَّ.

قلنا: لتحقيقِ عبوديتهِ هذه الحكمةُ العُظمىٰ التي تعودُ إلىٰ المخلوقين أن يُحقق العبدُ عبوديتهُ للهِ عَزَّ وَجَلَّ. الإنسانُ إنما خُلقَ ليعبدَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كما قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، والعبدُ إنما يُحقق عبوديتهُ لله عَزَّ وَجَلَّ بلزومِ شرعِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالحكمةُ العظمى التي تعودُ إلى المخلوقين من التشريع هي تحقيقُ عبودية اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وهذه الحكمةُ كافيةٌ للمسلم ليمتثلَ الأوامرَ ويجتنب النواهي، فإذا أمرانا اللهُ بشيءٍ فإنا نعلمُ أن الحكمةَ العُظمى منه أن نُحقق عبوديتنا للهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ فنمتثلُ لنُحقق هذه الحكمة، وإذا نهانا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عن شيءٍ فإنا نعلمُ أن الحكمةَ العُظمى من هذا أن نُحقق عبوديتنا لله عَزَّ وَجَلَّ.

وبهذا ينطفعُ سبيلُ الشيطانِ للإنسان، فلا يأتيه الشيطانُ ويقولُ له: لا تفعل حتى تعرف الحكمة، لما كذا؟ لأن الجوابَ: أنهُ ليُحقق عبوديتهُ لله عَزَّ وَجَلَّ.

وإصلاح العبادِ؛ فشرعُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فيه إصلاحُ العبادِ، فليس عبوديةَ محضة، بل مع تحقيق العبودية فيهِ الصلاحُ للعبادِ فيجلبُ لهم المصالحَ والمنافع، ويدرأُ عنهم المفاسد في المعاشِ -أي في الدنيا-، والمعادِ -أي في الآخرة-، فمصالحُ الإسلامِ ومنافعُ الإسلام ليست مقصورةً على الآخرةِ وليست مقصورةً على

الدنيا، بل هي في الدنيا والآخرة، فالإسلامُ جاء لإصلاح الدنيا وعدم الإفسادِ فيها، ولإصلاح الآخرة؛ بأن يكونَ الإنسانُ فيها من أهلِ الجنة.

فمن محاسن الدين الحكمُ والمصالحُ والمنافعُ التي تعودُ على العباد في دُنياهم وفي أُخراهم، فما من شيءٍ في شرع اللهِ عَزَّ وَجَلَّ إلا وفيه للعبادِ منفعة.

إذًا يا إخوة، إذا أمرنا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بشيءٍ فإنا نعلمُ أولاً أن ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُحبهُ ويُحبُ وقوعهُ ويُريدُ شرعاً وقوعهُ، ونعلمُ أن اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أرادَ منه أن نُحققَ عبوديتنا له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بامتثالِ الأمرِ، كما نعلمُ يقيناً أن فيهِ منفعةً لنا، وأن في تركهِ مضرةً علينا، قد نعلمُ هذه المنفعة وقد لا نعلمُها، لكنا نعتقدُ اعتقاداً جازماً أن في ذلك المنفعة.

وإذا نهانا اللهُ عن شيءٍ فإنا أولاً نعلمُ أن اللهَ يكرههُ ويكرهُ وقوعهُ ولا يُريدُ وقوعهُ، وأن في اجتنابهِ تحقيقنا لعبودية اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فاللهُ عَزَّ وَجَلَّ أرادَ أن نُحققَ عبوديتنا له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى باجتنابِ هذا المنهي عنه، كما نعلمُ أن في فعلهِ مفسدةً علينا، وفي تركهِ مصلحةً لنا، قد نعلمُ هذا بعينه، وقد لا نعلمُ هذا.

فربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد يُطلعنا على الحكمة؛ لأن في ذلك خيرنا، وقد يُخفي عنا الحكمة؛ لأن في ذلك خيرنا، ربُنا حكيمٌ عليم أعلمنا ما يُصلحُنا، وأخفى عنا ما في خفائهِ صلاحٌ لنا.

ألا ترى يا أخي أنه في ليلة القدرِ أطلعنا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ على أن ليلةَ القدرِ في رمضان، في قولهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]، وفي قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وأطلعنا على أنها في العشرِ الأواخر بسُنّة النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حيثُ أمرنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن نلتمسها في العشرِ الأواخر.

↩ لما؟

لأنه يا إخوة لو أُطلقت ليلةُ القدرِ في العام سيقلُّ مَنْ يطلبها، لكن لما كانت في أيام مع عظيمِ فضلها كَثُرَ طالبُها.

وأخفى اللهُ عنا في أيِّ ليلةٍ هي، لنجتهدَ في العشرِ كُلِّها، ليزدادَ أجرُنا ويعظمَ ثوابُنا عند اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

إذًا الحِكمُ قد نعلمُها وقد لا نعلمُها ولكنها موجودةٌ يقينًا

هذه محاسنُ الإسلام.

والإسلامُ بعد بعثة النبيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الذي بُعثَ به محمدٌ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فلا إسلامَ اليومَ غيرهُ.

الأنبياء جميعاً كانوا مسلمين، وكانوا يأمرونَ بالإسلام، لكن بعدَ بعثة النبي محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صار الإسلامُ هو: ما بُعثَ به محمدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فلا إسلامَ اليومَ غيرهُ، ولا دينَ يرتضيهِ ربُنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إلا ما جاء به محمدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال تعالى: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾ [الحج: ٧٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

ومعرفةُ محاسن الدين الإسلامي لها فوائدُ عظيمة، أهمُها أربعُ فوائد، تعودُ على الإنسان إذا عرفَ محاسن الدين:

⇦ **أولُها:** أن معرفة المحاسن تزيدُ المؤمن إيماناً بكمال اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، ومن ثَمَّ تزيدهُ إيماناً بكمالِ دين اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وتزيدُ المؤمن إيماناً وتصديقاً برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن ديناً هذه محاسنه لا يُمكنُ أن يكونَ من البشر، وإنما جاء به رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بوحيٍّ من الله.

إذا رأيتَ محاسن الدين فإنكَ تزدادُ إيماناً بكمالِ حكمة الله وكمالِ عدلِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فمحاسنُ الدين تزيدُكَ إيماناً بأن اللهَ حكيمٌ وأنهُ لطيفٌ وأنه خبيرٌ وأنهُ بَرٌّ وأنه مُحسنٌ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ما جاء به محمدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّهُ محاسن، وهذه تجعلُ العبد يزدادُ إيماناً بكمالِ ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وبصدقِ رسولهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

⇦ **والفائدةُ الثانية:** أن معرفةَ محاسن الدين تزيدُ المؤمنَ إيماناً وتُكسبهُ ثباتاً وتُعينهُ على الاستقامةِ على دين اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وتكونُ أدعى للتسليمِ والقبولِ للأحكام الشرعية وتزيدُ النفسَ طُمأنينة بالشريعةِ وأحكامها، فالنفسُ مجبولةٌ على التسليمِ لما عرفت حُسنهُ وعرفت فائدتهُ، فإذا عرف الإنسانُ الفائدة زادهُ ذلك ثباتاً وتمسكاً بالدين.

ولذلك نجدُ أن الأغلبَ في الآياتِ والسُّنّة التعليل وبيان الحكمة ليُعان المؤمن على التمسك بالدين والثبات والاستجابة، قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا

يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤]. ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾؛ فهذه الحكمة: أن في دينِ اللهِ حياتكم وسعادتكم وصلاحكم وخيركم.

⇦ **والفائدةُ الثالثة:** أن العلمَ بمحاسن الشريعة يُعينُ الدُعاةَ إلى الله على بيانِ محاسن الدين وتبصيرِ الناسِ بها، وترغيبهم فيها، فإذا بُيّنت للناس سواءً كانوا مُسلمينَ عُصاة، أو كانوا غيرَ مُسلمين، فإن هذا يجلبُ قلوبهم إلى الدين، ويدعوهم إلى الاستقامةِ على الدينِ إن كانوا مُسلمين، وإلى الإسلامِ إن كانوا غيرَ مسلمين.

يقول الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: المسلمونَ اليومَ بل العالمُ كُلُّه في أشد الحاجة إلى بيانِ دين اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وإظهارِ محاسِنه وبيانِ حقيقته.

واللهِ –والكلامُ للشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ–، واللهِ لو عرفهُ الناسُ اليوم، لو عرفهُ العالمُ على حقيقته لدخلوا فيهِ أفواجا.

⇦ **الفائدةُ الرابعة لمعرفة محاسن الدين:** الدفاعُ عن هذا الدين، ودفعُ الشُبهاتِ حوله، ودفعُ ما يصفهُ به أعداءهُ للتنفيرِ عنهُ، ودفعث ما قد يُلصقهُ به بعضُ أبنائهِ بأفعالِهم المُخالفة للدين، كما يفعل الخوارج اليوم، فيُلصقُ الناسُ بالدين أفعالَ هؤلاء.

فإذا عرفَ المسلمُ محاسن هذا الدين يستطيعُ أن يُدافعُ عن هذا الدين بها، وهذا من الجهادِ في سبيلِ الله؛ أن تُدافعَ عن دين اللهِ بالبيان، أن تُدافعَ عن دين الله ببيانِ محاسنه ومكارمه وما فيهِ من الخير.

والمسلمُ إذا عرفَ محاسنَ الإسلام يستطيعُ إبرازها للناس بأفعالهِ؛ لأنه إذا استقامَ على دينِ الله كما جاء عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفهمهُ صحابةُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فإن محاسنَ الدين ستبرزُ بهذا، ويرى الناسُ محاسنَ الدينِ في فعلهِ، فإذا كانوا عُصاةً من المسلمين فإنه بفعلهم يدعوهم إلى ترك المعصية والاستقامة على دين الله، وإذا كانوا غيرَ مُسلمين؛ فإنه بفعلهِ يدعوهم إلى الإسلام.

📖 **ولذلك يا إخوة** انتشرَ الإسلام في كثيرٍ من البُلدان عن طريق حُسن المعاملة، عن طريق التُجار، وعن طريقِ مُعاملةِ المسلمين الحَسنة، هنا برزت محاسنُ الدين عملياً، بالاستقامةِ الصحيحة على دين اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

كما أنه يستطيعُ أن يُبرزَ محاسنَ الدين بقوله ولسانه ويُدللَ على ذلك.

وبهذا يا إخوة نعرفُ أنا بحاجةٍ شديدة في أنفُسِنا لنتعلمَ محاسنَ الدين، لِما ذكرناهُ من الفائدة التي ترجعُ على الإنسان إذا تعلمَ محاسنَ الدين.

كذلك نُدركُ أن الناس في حاجةٍ شديدة لأن نُبيّنَ لهم محاسنَ الدين، لنُعينَ بإذن الله عُصاةَ المسلمين على ترك المعصية، وندعو غيرَ المسلمين إلى دينِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، ولا سيما في هذا الزمان الذي كثرت فيه الشُبهات، وتفجرت فيه الشهوات، فما أحوجنا لما يُثبتنا على دِيننا ويقوي تمسكنا بديننا.

ومما يُعينُ على ذلك أن نعرفَ محاسن الدين، ولذلك فإن شرحَ مثلَ هذه الرسالة يحتاجُ إليه الناسُ عموماً، وإني لأحثُ نفسي وإخواني على إبرازِ محاسن الدين.

ون الجميل إذا عرفنا شرحَ هذه الرسالة أن نشرحَ ذلكَ لأهلِنا، ولذُرياتِنا، ولأهلينا، ولمن كان أهلهُ يتكلمونَ -أعني قومهُ- يتكلمونَ بلغةٍ غير العربية فمن الجميلِ أن ينتدبَ لترجمةِ هذه الرسالة وشرحها بلغةِ قومه ليوصلها إلى الناس؛ فإن هذا من الخيرِ العظيم.

ونشرعُ في قراءةِ ما سطرهُ الشيخ في هذه الرسالة، والشيخُ في هذه الرسالة ذكرَ شيئًا من محاسنِ كُلياتِ الدين، وبدأ بالعقيدة، ثم العبادات، ثم المعاملات، على طريقة الفُقهاء في التقسيم الكُليّ للفقه، كما سيظهرُ لنا في الأمثلةِ إن شاء اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، فليتفضل الابن نورُ الدين، وفقهُ اللهُ والسامعين، يقرأُ لنا.

(المتن)

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ أشرف الأنبياءِ والمُرسلين، نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِه أَجْمَعِيْنَ، أَمَّا بَعْدُ: فاللهمَ اغفر لنا ولشيخنا والسامعين.

❑ قال الإمامُ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في رسالتهِ (الدُرةُ المُختصرة في محاسن الدين الإسلامي):

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد للهِ نحمدهُ ونستعينهُ ونستغفرهُ ونتوبُ إليه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسنا وسيئاتِ أعمالنا، مَنْ يهدِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، وَمَنْ يُضلِلْ فلا هَاديَ له، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تسليمًا كَثِيْرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فإنّ دينَ الإسلامِ الذي جاء به محمدٌ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكملُ الأديانِ وأفضلُها، وأعلاها وأجلُّها.

(الشرح)

نعم، يعني إن الدينَ الذي جاء به محمدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكملُ الأديانِ التي جاءَ بها الأنبياء عليهمُ السلام، وقد جمعها الشيخ باعتبارِ تعدُدِ الأنبياءِ عليهمُ السلام، فيُقالُ: دينُ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ودينُ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ودينُ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فجمعها باعتبارِ تعدُدِ الأنبياء عليهمُ السلام، وإلا فباعتبارِ الحقيقة فدينُ الأنبياءِ واحد، جميعُ الأنبياء جاءوا بالتوحيد والتعدُدُ إنما هو في الشرائع.

باعتبار الحقيقة دينَ الأنبياء واحد، والتعدُدُ إنما هو في الشرائع، قال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الأنبياءُ أُخوةٌ لعلات، أُمهاتُهم شتىٰ ودينهم واحد» رواهُ البخاري في الصحيح.

أي أنَ الأنبياء كالإخوةِ لأب، الأصلُ واحد، والأُمهاتُ مُتعددات. الأصل واحد؛ الأب، والأُمهاتُ مُتعددات. فدينُ الأنبياءِ عليهمُ السلام واحد، وهو توحيدُ الله.

والشرائعُ فيها اختلاف، كما قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]. وتنوعُ الشرائع لا يمنعُ أن يكونَ الدينُ واحداً.

وبهذا تعرفُ أيها المُبارك أنه لا يجوزُ أن يُنسبَ إلى دينِ الله إلا ما جاءَ به محمدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يجوزُ أن يُنسبَ إلى دينِ الأنبياء إلا ما جاء به محمدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الدين؛ لأن هذا هو دينُ الأنبياءِ جميعاً.

وما يُذكرُ في أديانٍ تُنسبُ إلى الأنبياء يُخالفُ ما جاء به محمدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الدين، لا من الشرائع، من الدين؛ هو لم يأتِ به الأنبياء عليهمُ السلام، وإنما مُحرفٌ ومكذوبٌ على الأنبياءِ عليهم السلام.

وأما الشرائعُ فقد نُسخت بشريعةِ محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

إذًا إذا أردتَ أن تعرفَ دينَ الأنبياء؛ فأنظر إلى ما جاء به محمدٌ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لأن دينَ الأنبياء واحد، دينُ محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو دينُ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، هو دينُ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فهذا ميزانٌ عظيمٌ للمؤمن.

(المتن)

❑ **قال رَحِمَهُ اللهُ: وقد حَوَىٰ من المحاسنِ والكمالِ والصَلاحِ والرَحمةِ والعدلِ والحكمةِ ما يشهدُ للهِ تعالىٰ بالكمالِ المُطلق، وسعة العلمِ والحكمة.**

(الشرح)

قال: "وقد حوى من المحاسنِ والكمالِ والصلاحِ والرحمةِ والعدلِ والحكمة"، فما من خيرٍ في شرائع الأنبياءِ عليهم السلام قبلَ محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إلا وهو موجودٌ في الإسلام، على وجهٍ أكملَ مما كان، مع ما اختصَ اللهُ به أُمةَ محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من خيرٍ وصلاحٍ وإصلاح، فالإسلامُ كُلُّهُ صلاح، وكُلُّهُ رحمة، وكُلُّهُ عدل، وكُلُّهُ خير، وكُلُّهُ محاسن.

(المتن)

❑ **قال رَحِمَهُ اللهُ: ما يشهدُ للهِ تعالىٰ بالكمالِ المُطلقِ، وسعة العلمِ والحكمة، ويشهدُ لنبيهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه رسولُ اللهِ حقًا، وأنه الصادقُ المصدوق؛ الذي لا ينطقُ عن الهوىٰ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٤].**

فهذا الدينُ الإسلاميُّ أعظمُ برهانٍ، وأجَلُّ شاهدٍ للهِ بالتفرّدِ بالكمالِ المُطلقِ كُلِّه، ولنبيهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرّسالةِ والصدق.

(الشرح)

قد تقدمَ أنا بيّنا أن من فوائدِ معرفةِ محاسن الإسلام: أن يزدادَ المؤمنُ إيماناً بكمالِ الله عَزَّ وَجَلَّ، وكمالِ دينِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وأن يزدادَ إيماناً بصدقِ محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنهُ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فدينٌ هذه محاسنُه، أو بعضُ محاسنه، لا يُمكنُ أن يأتي به بشر، دينٌ بهذا الكمال، دينٌ بهذا الجمال، دينٌ بهذا الإحكام، دينٌ بهذا الاتلافِ الذي لا تدافعَ فيه، دينٌ فيهِ هذه المصالح لا يُمكنُ أن يأتي به بشرٌ من عِنده، وإنما هو وحيٌ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كما قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، لكنهُ لما كان من عِندِ الله، كان بهذا الكمال وهذا الجمال وهذا الجلال وهذا الاتلاف وهذه المحاسن.

(المتن)

❑ **قال رَحِمَهُ اللهُ: وغرضي من هذا التعليق: إبداءُ ما وصلَ إليه علمي من بيانِ أصولِ محاسنِ هذا الدينِ العظيم.**

(الشرح)

نعم، محاسنُ الدين يا إخوة، أجلُ وأعظمُ من أن يُحيطَ بها بشر، فلا يُحيطُ بعلمها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإنما أطلعنا الله على شيءٍ من الحِكم؛ لأن في ذلكَ صلاحنا، ولا يُمكنُ لعالمٍ مهما بلغَ علمه أن يُحيطَ بمحاسن الشريعة، الله عَزَّ وَجَلَّ أطلعنا على شيءٍ من محاسن الشريعة.

وهذه المحاسن التي هي جزءٌ من محاسن الشريعة، لا يُمكنُ أن يُحيطَ بها عالم، وإنما يعرفُ عالمٌ بعضها، ويعرفُ آخرُ بعضها.

ولذلك الشيخ ذكرَ هذا وأنه إنما أرادَ أن يُظهرَ ما وصلَ إليهِ علمه، لا أن يُظهرَ كُلَّ المحاسن؛ فإن المحاسنَ أوسعُ من علمِ الشيخِ.

ولا شكَ أن في هذا أيضاً تواضعاً من الشيخ، وهذه عادةُ العلماء في التواضع وهم يضربونَ لنا أمثلة في هذا الأمر، نُربي أنفسنا بها عليه، -أعني التواضعَ وغمطَ النفسِ وعدمَ التكبر وعدم الاغترار بما يُحصله الإنسان من علم-.

الشيخ صالح الفوزان حفظه الله لما قال المُقدمُ: العالم.

قال: لستُ عالماً، العالم ابن باز.

الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ، كان المُقدم قدمَ وبدأ يُثني العلامة.

قال الشيخ: اسكت. -يقول ابن عثيمين-.

قال المقدم: أريد أن يعرفكَ الناس.

قال الشيخ: اسكت.

الشيخ ربيع المدخلي ختمَ اللهُ لنا وله بخير، ونفعَ به الأُمة، لما قال المقدم: العلامة.

قال: أُشهدُ الله أني لستُ علامة.

وهكذا، ينبغي لطالب العلم أن يُعود نفسه على التواضع وغمط النفس، بل يا إخوة الزيادةُ في العلم تورثُ التواضع، لأنكَ كلما ازددت علما عرفتَ أن الذي تجهلهُ أكثر.

نعم في عبارة الشيخ تواضعٌ مع أنّ الكلامَ موافقٌ للحقيقة.

(المتن)

❑ **قال رَحِمَهُ اللهُ: فإنّي وإن كان علمي ومعرفتي تَقْصُرُ كُلَّ القصورِ عن إبداءِ بعضِ ما احتوىٰ عليه هذا الدّين م الجلالِ والجمالِ والكمال، وعبارتي تَضْعُفُ عن شرحهِ علىٰ وجهِ الإجمالِ، فضلاً عن التفصيلِ في المقال، وكان ما لا يُدركُ جميعه ولا يُوصلُ إلىٰ غايتهِ ومُعظمه، فلا ينبغي أن يُتركَ منهُ ما يعرفُه الإنسانُ لعجزهِ عمّا لا يعرفه، فلا يُكلِّفُ الله نفساً إلا وسعها: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].**

وذلك أن في معرفةِ هذا العلمِ فوائدَ متعدّدة:

منها: أن الاشتغالَ في هذا الموضوعِ الذي هو أشرفُ الموضيعِ وأجلُّها من أفضل الأعمالِ الصالحة.

(الشرح)

نعم، الاشتغالُ بالعلمِ من أفضل الأعمال الصالحة وأنفع الأعمالِ الصالحة، وأشرف القُرب، وهو سلوكُ طريق الجنة.

وقد ذهبَ جمعٌ من السلف إلى أنَ أفضلَ النوافل: أن تشتغلَ بالعلم.

فالعلمُ أفضلُ النوافل وأكثرُها ثواباً، وكلما كان العلمُ أكثرَ فائدة؛ كان أعظمَ قُربة. كلما كان العلمُ أكثرَ فائدة؛ كان أعظمَ قُربة، ومن ذلك: الاشتغالُ بعلمِ محاسن الدين، فإن ذلكَ كثيرُ الفوائد على الإنسانِ نفسه وعلى غيره، فالاشتغالُ به من أعظمِ الأعمال الصالحة، ومن أعظم القُربِ التي يُتقربُ بها إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(المتن)

❑ قال رَحِمَهُ اللهُ: فمعرفتهُ والبحثُ عنهُ، والتّفكيرُ فيه، وسلوكُ كُلّ طريقٍ يحصلُ إلىٰ معرفتهِ خيرُ ما شَغَلَ العبدُ به نفسه، والوقتُ الذي تُنفقهُ في ذلك هو الوقتُ الذي لكَ لا عليك.

(الشرح)

يعني: (يحصلُ إلى معرفته)، العبارة فيها نظر؛ لأنها إما أن يُقال: يُحصلُ معرفتهُ. وإما أن يُقال: يوصلُ إلى معرفتهِ.

- إما أنه يوصل إلى معرفته.
- أو يُحصلُ معرفتهُ.

فلعلَ هذا خطأ من الناسخ.

✓ إما أنها: يُحصلُ معرفته.

✓ وإما أنها: يُوصلُ إلى معرفتهِ.

(المتن)

❑ قال رَحِمَهُ اللهُ: والوقتُ الذي تُنفقهُ في ذلك هو الوقتُ الذي لكَ لا عليك.

(الشرح)

صدقَ والله. الوقت الذي تُنفقهُ في طلب العلم ليس وقتاً ضائعاً؛ هذا هو الوقتُ النافع، وهذا هو الوقتُ الذي يبقى، وهذا هو الوقت الذي يُحصلُ فيه الإنسان الخير، إنه وقتٌ يُثابُ عليه الإنسان، ويُحصلُ فيهِ خيرا.

وعُمرُكَ ما كانَ لك، لا ما كانَ عليك.

عمركَ ما كانَ لك، لا ما كانَ عليك، فالوقت الذي نقضيه في طلب العلم، في نشر العلم، هذا هو العمر الحقيقي، وهذا هو الحياة الحقيقية التي نرجو بها الثوابَ من الله ونفعَ أُمةَ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونرجو بها النورَ والخيرَ العظيم.

(المتن)

❑ قال رَحِمَهُ اللهُ: ومنها: أن معرفة النِّعَمِ والتَّحدُّثَ بها قد أمرَ اللهُ بهِ ورسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(الشرح)

نعم، إنَ معرفة النِّعم لا بدَ منها لشُكر اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عليها، فمن لم يعرف النعمة لن يشكرها، ومن لم يعرف قدرها ما شكرها، فلا بدَ من أن يعرفَ الإنسانُ النعمة، وأن يعرفَ قدرها.

ومن ذلكَ مثلًا: أن يتذكرَ الإنسانُ ما كانَ عليه وما صارَ إليه من خير؛ فإن في هذا معرفةً للنعم، قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لرسولهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سورة الضُحى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ۝٨﴾ [الضحى: ٦ - ٨].

فمن الطُرق النافعة لمعرفة النعم: أن تتذكرَ ما كُنتَ فيه، وما صِرتَ إليه، سواء في دُنياك أو في العلم أو في دِينك، أو غيرِ ذلك.

والتحدثُ بنعم الله من شُكرِ الله عَزَّ وَجَلَّ على النِّعم، قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١].

«وَمَنْ أثنىٰ فقد شكر، وَمَنْ كتمَ فقد كفر»، كما قال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد أمرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بتذكر النعم، قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ٧]، وقال سبحانه: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [الأحزاب: ٩]؛ فنحنُ مأمورون بأن نتذكرَ نعمَ الله علينا.

(المتن)

❑ قال رَحِمَهُ اللهُ: وهو من أكبرِ الأعمالِ الصّالحة، ولا شكَّ أن البحثَ في هذا اعترافٌ وتحدّثٌ وتفكرٌ في أَجَلِّ نعمهِ سبحانهُ علىٰ عبادِه: وهو الدّينُ الإسلامي الذي لا يقبلُ اللهُ من أحدٍ دينًا سِوَاه، فيكونُ هذا التَّحدُّثُ شُكراً لله، واستدعاءً للمزيدِ من هذه النّعمة.

(الشرح)

نعم، النظرُ في محاسن الدين تجعلنا نُدركُ قدرَ نعمة اللهِ علينا بالإسلام، وهذا يجعلُنا نزدادُ شكرا، وإذا ازددنا شُكرا زادنا اللهُ إيمانا، وزادنا ثباتا، فالشُكرُ تزدادُ به النِّعم، وَمَنْ شكرَ ربهُ على نعمة زادهُ منها كما قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

(المتن)

❑ قال رَحِمَهُ اللهُ: ومنها: أنّ الناسَ يتفاوتونَ في الإيمانِ وكمالِهِ تفاوتًا عظيمًا.

(الشرح)

نعم، الإيمانُ يزيدُ وينقص، والناسُ يتفاوتونَ في الإيمان، وخيرهم مَنْ زادَ إيمانهُ فكان سابقاً بالخيرات، كما قال ربُنا: ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر: ٣١]، وزيادةُ الإيمان لها أسباب -كما ذكرنا في شرح العقيدةِ الواسطية-.

ومن أجلِ أسبابِ زيادة الإيمان وأعظمِها: معرفةُ محاسنِ هذا الدين؛ فإن هذا يزدادُ بيه إيمانُ العبد.

(المتن)

❑ قال رَحِمَهُ اللهُ: وكلّما كان العبدُ أعرفَ بهذا الدين وأشدَّ تعظيمًا له وسروراً به وابتهاجًا كان أكملَ إيمانًا وأصحَ يقينًا، فإنه بُرهانٌ علىٰ جميعِ أصولِ الإيمانِ وقواعده.

قال رَحِمَهُ اللهُ: ومنها: أن من أكبرِ الدَّعْوَةِ إلىٰ دين الإسلام شَرْحَ ما احتوىٰ عليه من المحاسنِ التي يَقْبَلُها ويتقبلُها كُلُّ صاحبِ عقلٍ وفطرةٍ سليمة.

(الشرح)

نعم، الدعوةُ إلى الله صاحبُها إن كان على علمٍ وإيمان، قولهُ أحسنُ الأقوال. قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، ومن أحسنِ الأقوالِ في الدعوةِ إلى الله بيانُ محاسنِ هذا الدين، بيانُ محاسن الإسلام، وإذا ظهرت محاسنُ الإسلام وأُبرزت وعُرفت، كان في ذلك دعوة إلى دين اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

(المتن)

❑ قال رَحِمَهُ اللهُ: فلو تصدَّىٰ للدعوةِ إلىٰ هذا الدّينِ رجالٌ يشرحونَ حقائقهُ، ويُبينونَ للخلقِ مصالحه، لكان ذلكَ كافيًا كفايةً تامّةً في جَذْبِ الخلقِ إليه؛ لما يَرَوْنَ من موافقتِهِ للمصالحِ الدينيةِ والدنيويةِ، ولصلاحِ الظاهرِ والباطن من غيرِ حاجةٍ إلىٰ التَّعرُّضِ لدفعِ شُبَهِ المُعارضين، والطّعنِ في أديانِ المخالفين.

فإنهُ في نفسهِ يدفعُ كُلَّ شُبهةٍ تُعارضُهُ؛ لأنهُ حَقٌّ مقرونٌ بالبيانِ الواضح، والبراهين الموصّلةِ إلىٰ اليقين.

(الشرح)

نعم، مقصودُ الشيخ أنا إذا بيّنا محاسن الإسلام فإنا ندعو الناس إلى دين اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وإذا ظهرت محاسنُ الإسلام وعُرفت تبيَّنَ قُبحُ ما يُخالفهُ.

إذا ظهرت محاسنُ الإسلام تبيّنَ قُبحُ ما يُخالفهُ، فيُغني ذلكَ عن الطعنِ فيما عليه المُخالفونَ في الدينِ أو العقيدة، كما أن في ذلكَ إبطالاً كُليًّا للشُبه من غيرِ حاجةٍ للتعرض للشُبه شُبهةً شُبهة.

إذًا في بيانِ محاسن الإسلام دعوةٌ للإسلامِ وكشفٌ لقُبحِ ما يخالفُ الإسلامَ، ودفعٌ للشُبه، فهو جامعٌ بين هذه الأمور الثلاثة:

- دعوةٌ.
- وبيانٌ لقبحِ ما يُخالفُ الدين.
- ودفعٌ للشُبه التي تحولُ بين العبادِ وبين الدين.

(المتن)

❑ **قال رَحِمَهُ اللهُ: فإذا كُشفَ عن بعضِ حقائق هذا الدين صارَ أكبرَ داعٍ إلىٰ قبولهِ ورُجحانهِ علىٰ غيره.**

واعلم أن محاسنَ الدِّين الإسلامي عامةٌ في جميعِ مسائلهِ ودلائلهِ، وفي أصولهِ وفروعهِ، وفيما دَلَّ عليه من علوم الشَّرعِ والأحكام، وما دلَّ عليه من علومِ الكونِ والاجتماع، وليس القصدُ هنا استيعابَ ذلك وتَتَبُّعه، فإنه يستدعي بسطًا كثيراً، وإنما الغرضُ ذكرُ أمثلةٍ نافعةٍ يُستدلُ بها علىٰ سِواها، وينفتحُ بها البابُ لمن أرادَ الدّخول، وهي أمثلةٌ مُنتشرةٌ في الأصولِ والفروع، والعباداتِ والمعاملات.

(الشرح)

نعم، -كما تقدم- محاسنُ الدين ظاهرةٌ في كُلياتهِ وأصولهِ وفروعهِ وجزئياتهِ، فما من شيءٍ من دين اللهِ عَزَّ وَجَلَّ إلا وفيه الحُسنُ ظاهر، سواء من جهةِ كمالهِ وجمالهِ، أو من جهة الحكم التي تكونُ فيهِ.

ولا يستطيعُ أحدٌ أن يؤلف مؤلفاً يجمعُ كُلَّ محاسن الدين، ولكن يُذكرُ ما يُقدرُ عليه.

والشيخ إنما ذكرَ أمثلة، قاصدًا من ذلكَ أن تكونَ هذه الكُليات دالةً على الجُزئيات، وأن يحُثَ طُلاب العلم على الاعتناءِ بهذا الباب الذي يقلُ الاعتناءُ به بين طُلاب العلم.

لعنا نقف عند هذه النُقطة لنُصلي السُّنّة القبلية، ثم إن شاء الله بعد أن نُصلي السُّنّة البعدية نرجع للمجلس الثاني من مجالسنا، يعني بعدَ أن نُصليَّ الظُهر والسُنّة البعدية، نرجع للمجلس الثاني، والمجلس الثالث إن شاء الله سيكون بعدَ العصر.

أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يتقبل مني ومنكم.